الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry Of Higher EducationAnd Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد-النعامة-Salehi Ahmed University Center –Naama-
معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر

بعنوان:

أثر السّياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي
-نماذج قرآنية-

الميدان: لغة وأدب عربي الشعبة: دراسات لغوية التخصص: لسانيات عربية

إشـــراف الأستاذ:
محمد بداوي

إعـــداد الطالبة:
نجوى مخلوف

لجنة المناقشة والإشراف

الاسم واللقب:	الرتبة	الصفة
د. إيمان جباري	أستاذ محاضر –أ-	رئيسًا
د. محمد بداوي	أستاذ محاضر –أ-	مشرفًا ومقررًا
أ. د. عبد القادر بوعصابة	أستاذ التعليم العالي	مناقشًا

الموسم الجـامعي: 1445 هـ- 1446هـ / 2024م-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الاداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : مخلوف نجوى

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 110001458004150008

الصادرة بتاريخ : 2022-08-23

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللّغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : أثر السّياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي - نماذج قرآنية -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025/05/19

توقيع المعني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وقل ربِّ زِدني علما﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمْ

الإهداء:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمِ

الحمد لله الّذي أنعم علينا وزرع في قلوبنا أملًا ومهّد لنا السبل لنصل، والصلاة والسلام على نبيّه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهدي عملي هذا:

إلى من إحمل اسمه بكلّ افتخار، إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار " والدي العزيز أدامك الله لي "

إلى قرّة عيني،ملجئي وسندي الّتي طالما عاهدتك بالنجاح رغمًا عن العثرات" أمي الحبيبة أطال الله في عمرك"

إلى فقيدتي أختي الغالية جعل الله الجنة مسكنًا لك " مريم رحمك الله"

إلى من رسمتم لي المستقبل بخطوط من الثقة والحب " إخوتي حفظكم الله لي "

إلى عوضي الجميل، إلى من كان سندًا لي في رحلتي هذه، إلى من جعله الله من صفوة الرجال شريكا لي " خطيبي محمد أدامك الله لي عمرًا كاملا "

إلى جميع أفراد عائلتي كلّ باسمه ومقامه " دمتم عزًّا لي "

إلى أساتذتي الكرام وأخصّ بالذّكر أستاذي الفاضل "محمد بداوي" كلمات الشكر قليلة في حقك لا يسعني إلّا أن أقول جزاك الله عنّا خير الجزاء .

مخلوف نجوى

المقدّمة

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلم، وفتح للإنسان أبوابَ الحِكم، ووهبَ العقلَ نورَالفهم، وزيّنَ الأرواحَ بنعمةِ الكَلِم، نحمدُه حمدًا يليقُ بجلالِ النِّعَم، ونشكره شكرَ من تفتَّحت له مغاليقُ العِلم، وصلّى الله وسلّم على من نطقَ بالحكمةِ وجوامعِ الكَلِم، سيدنا محمدٍ، خيرِ من مشى على القِدَم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا يعطرُ القَسَم، أمّا بعد...

فإنّ اللّغة ليست نسقًا من الألفاظ تُرصّ رصفًا، ولا أصواتًا تُطلق عبثًا، بل هي كيان نابض، تتآلف فيه الأصوات والمعاني، وتتناغم فيه البنى والدلالات، في نسق يضبطه السياق، ويوجه الفهم صوب المقصود من الكلام.

ومن القضايا التي استرعت انتباه الدّارسين، وأثارت فيهم فضول البحث والتأمل، قضية المشترك اللّفظي، بما تطرحه من إشكال دلالي عميق يتمثّل في تعدّد المعاني التي تحتملها الكلمة الواحدة، حتى كأنّها مرآة تنعكس فيها وجوه شتى للمعنى، غير أنّ هذا التعدّد لا يعني التشتّت ولا الفوضى، إذ تتدخّل القرائن السياقية بما تحمله من دقّة وثراء، لتُعيد النظام إلى الدّلالة، وتُظهر المقصود من المعنى على وجه لا غموض فيه، ويبرز النصّ القرآني مثالًا أرقى لهذا التّفاعل، إذ تأتي آياته محمّلة بألفاظ ذات وجوه معنوية متعدّدة، غير أنّ السياق يرسم لكلّ وجه ملامحه، ويمنحه وضوحه الخاص بإعجاز لا يخفى على بصير.

ومن هذا المنطلق، يسعى بحثنا هذا إلى الكشف عن أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي، من خلال نماذج قرآنية مختارة، تسبر غور العلاقة بين السياق والمعنى، وتضيء جوانب التّوجيه الدّلالي في كلام الله عزّ وجل.

وهذه الدّراسة، بما تحمله من استقراء وتحليل، لجديرة بأن يُوقف عندها، إذ تفتح أفقًا لفهمٍ أعمق لآلية اشتغال السياق في ضبط المعنى، وتُسلّط الضوء على دقّة التعبير القرآني حين تتعدّد الدلالات ويُختار منها ما يناسب المقام دون زيادة أو نقصان.

كما أنّها تُبرز قدرة السياق على تقييد الاحتمال وتوجيه التّأويل، ممّا يمنح الدّارس أداة فاعلة في تمييز المراد من المشترك اللّفظي، ويُسهم في ترسيخ منهجية واعية في قراءة النصوص ذات الطابع المركّب، فليست الغاية من هذه الوقفة مجرّد رصد ظاهرة لغوية، بل هي محاولة للغوص في عمق النص، حيث يتعانق المعنى مع السياق، وتتجلّى البلاغة في أبهى صورها، في نصّ لا تنقضي عجائبه.

وما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو ما لاحظناه من حضورٍ واسع لظاهرة المشترك اللّفظي في النص القرآني، وما يثيره ذلك من تحديات تأويلية لا يمكن تجاوزها دون استحضار السياق بمختلف أنواعه، ممّا يجعل من دراستها ضرورة لفهم النص على وجهه الصّحيح، والوقوف على دقّة التعبير القرآني وجمال بنائه الدلالي.

وتهدف هذه الدّراسة إلى الوقوف عند آراء المفسّرين حول قضية تأثير السياق في تحديد المشترك اللّفظي.

كما نهدف من خلالها على الإجابة عن إشكالية محورية مفادها: إلى أيّ مدى يُسهم السياق في توجيه دلالة المشترك اللّفظي في النص القرآني؟

ويتفرّع عن هذه الإشكالية عدد من التّساؤلات، منها: ما المقصود بالسياق، وما مفهوم المشترك اللّفظي؟ وكيف يُسهم كلّ منهما في تحديد دلالة الألفاظ القرآنية؟ وما الآليات التي يعتمدها السياق في ترجيح معنى دون آخر عند تعدّد الدلالات؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وتساؤلاتها، ارتأينا اعتماد خطّة بحث محكمة، نرى أنّها الأنسب لمعالجة الموضوع الموسوم بـ: « **أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي – نماذج قرآنية**»، وهي بالتّرتيب كما يلي:

المقدّمة: تضمّنت التّعريف بالموضوع، وبيان دوافع اختياره، وأهميته، والإشكالية المطروحة، مع عرض موجز لخطّة البحث.

المدخل: وُضع تمهيدًا عامًّا للبحث، بحيث جاء بعنوان " **علم الدّلالة ومباحثه**"، تطرّقنا فيه إلى المفاهيم الأساسية في علم الدلالة ومباحثها، والتغيّرات الدلالية التي تلحق الألفاظ، بالإضافة للعلاقات الدّلالية في اللّغة.

الفصل الأوّل: جاء بعنوان: "**السياق عند القدماء والمحدثين**"، وقد تناولنا فيه مفهوم السياق، ودلالته، وأنواعه، كما وقفنا على تصوّرات العلماء له في التراث والدّرس اللّغوي الحديث، وصولًا إلى إبراز خصوصية السياق في النص القرآني.

الفصل الثاني: "**المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي والقرآني**"، وقُسّم إلى مبحثين؛ تناول الأوّل ظاهرة المشترك اللّفظي في اللّغة العربية عمومًا، بينما خُصّص الثاني لدراسة المشترك اللّفظي في ضوء الاستعمال القرآني.

الفصل الثالث: "**دراسة تطبيقية – نماذج قرآنية**"، عرضنا فيه نماذج مختارة من ألفاظ وردت في سياقات قرآنية متعدّدة، وقمنا بتحليلها للكشف عن أثر السياق في توجيه دلالتها وتحديد المعنى المقصود منها بدقّة.

الخاتمة: خُتم بها البحث، وتضمنت أبرز النتائج المتوصّل إليها.

وقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الوصفي القائم على تحليل الألفاظ القرآنية في ضوء سياقاتها المختلفة.

كما اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي شكّلت أساسه النظري، وساندت بنيته العلمية، وكانت له عمدته وعدّته، نذكر منها على وجه الخصوص:

«دلائل الإعجاز- لعبد القاهر الجرجاني»، و« الأضداد لأبي الطيب -اللّغوي ابن الأنباري»، وكتاب «اللّغة العربية: معناها ومبناها للدكتور تمام حسان»، و« علم الدلالة للدكتور- أحمد مختار عمر»، و«دور الكلمة في اللّغة - لهربرت أولمان»، فضلًا عن غيرها من المؤلّفات والمعاجم والدّراسات الحديثة التي كان لها بالغ الأثر في إثراء هذا العمل وإتمامه، بالإضافة إلى كتب التّفسير نحو كتاب تفسير الطبري والقرطبي وابن عاشور وغيرها من كتب علوم القرآن التي مثّلت بدورها ركيزة أساسية في البحث.

كما نجد مجموعة من الدّراسات السّابقة التي عُنية بالبحث في موضوع السياق وأثره في تحديد المشترك اللّفظي، ومن بين هذه الدّراسات:

- مقالة بعنوان: الدّلالة السياقية للمشترك اللّفظي في تفسير القرطبي، لطرش لخضر، سنة 2012م.
- مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، بعنوان: دلالة السياق، ودوره في فهم النص القرآني(سورة البقرة أنموذجًا)، للطالبتين "بن زيتون منال"، و" حسيني حفيظة أمينة"، سنة 2017م.
- مقالة بعنوان: أثر السياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي في القرآن الكريم، لزكرياء بسباسي، سنة 2015م.

ولم يكن هذا البحث ليتم دون عناء، فقد واجهنا خلال مسيرته جملة من العقبات والصعوبات التي كبّلت الخطى في بعض المراحل، تمثلت في ندرة بعض المراجع المتخصّصة، وتشعّب المفاهيم وتداخلها، فضلًا عن الحاجة إلى التأنّي والدّقة في تحليل النماذج القرآنية، وهو ما تطلّب منا جهدًا مضاعفًا وصبرًا طويلًا لتجاوز تلك العوائق وتحقيق الغاية المرجوة من هذا العمل.

وختامًا في هذا المقام، لا يفوتنا أن نتوجّه ببالغ الشكر وعميق التقدير إلى الأستاذ المشرف" **محمد بداوي**"، على ما بذله من جهد، وما أبداه من صبر وتوجيه ودعم علمي، كان له الأثر البالغ في إخراج هذا العمل على الصورة التي هو عليها.

تمت بفضل الله يوم: 6 ذو القعدة 1446 هـ الموافق لـ 4 ماي 2025 م.

نجوى مخلوف

المـــــدخـــــــل

علم الدلالة ومباحثه

يمثِّل علم الدّلالة مستوى من مستويات دراسة اللّغة، يعرف بالمستوى الدّلالي؛ لأنَّه يختصُّ بدراسة المعنى الذي يخلُص إليه المستويات الأخرى، وهذا ما يجعله مرتبطاً بعلوم أخرى، لُغَوية وغير لُغَوية، أخُصُّ بالذّكر هنا علاقته بالمعجم وعلم المعاجم.

1) تعريف الدّلالة :

" الدَّلالة " « مشتقّة من الفعل "دلَّ" : أرشَدَ، سدَّد، وهدى.. يقال دلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلاَلَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً ، والفتح أعلى»[1].

وفي الاصطلاح « هي كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشّيء الأول هو الدّال، والثاني هو المدلول »[2].

من هنا فالدّلالة بمعنى العام هو الإبانة بواسطة الأمارة سواء كانت هذه الأمارة لفظية أو غير لفظية، أو بعبارة أخرى هي دلالة برمز لغوي، أو غيره من الرموز غير اللّغوية الموضوعة للدّلالة أو الإشارة إلى معنى أو مفهوم خارجي.

ومن جهة أخرى، تكون الدّلالة بمعنى خاصّ، ونعني بها الدّلالة اللّفظية الوضعية، فهي «كونُ اللّفظ بحيث متى أُطلق أو تُخيّل فُهِم منه معناه للعلم بوضعه »[3]، أي تلازُم بين دال ومدلول بعلاقة وَضْعٍ، حيث تصبح للكلمات والعلامات اللّغوية مَعانٍ ودلالات يُصطلح على مدلولها.

[1] ابن منظور،لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة،(دلل)، ج4، ص455.

[2] الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1403هـ-1983م، ص104.

[3] المرجع نفسه، ص104

2) مصطلح علم الدّلالة :

علم الدّلالة Sémantique حديثُ النّشأة. فقد ظهر هذا المصطلح بهذا المفهوم على يد العالم اللّغوي الفرنسي "ميشال بريال" Michel Bréal، يقول أولمان: «.. فدراسة المعنى بوصفه فرعاً مستقلاً عن علم اللّغة قد ظهرت أول ما ظهرت سنة 1839م، لكن هذه الدّراسة لم تُعرف بهذا الاسم- أي السيمانتيك - إلّا بعد فترة طويلة، أي سنة 1883م، عندما ابتكر العالم الفرنسي" م. بريال" المصطلح الحديث Sémantique الذي لم يلبَث أن انتقل إلى اللّغة الانجليزية مُترجَماً بالكلمة Semantics »[1].

وعُرف في الدراسات العربية مصطلحات لهذا العلم، فهو(علم المعنى)، أو (علم الدّلالة)، أو (السيمانتيك)، وإن كان مصطلح (علم الدّلالة) اشتهر في المؤلفات العربية؛ لأنّ الأول (علم المعنى) كثيراً ما يلتبس في صيغة الجمع (علم المعاني) بقسم من أقسام الدراسات البلاغية، ويضاف إليه أنَّ مصطلح (الدّلالة) انتشر في مصنفات عربية قديمة بما يتّصل بمفهومه المعاصر[2].

وأمّا تعريفُه، فهو العلمُ الذي يدرس المعنى، أو يدرس نظرية المعنى الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى. فكان موضوعه كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز(سواء كانت العلامات أو الرموز لُغَوية أو غير لُغَوية)، غير أنّه اختصّ على اللّغة من بين أنظمة الرموز الأخرى[3].

3) مباحث علم الدلالة

إنّ مباحث الدّلالة، وإن نالت عناية القدماء من الهنود واليونان والعرب، شأنها في ذلك شأن البحوث الإنسانية القديمة، فإنّ معالجة قضايا الدّلالة بمنهج علمي هو ثمرة من ثمرات الدراسة اللّغوية الحديثة.

[1] أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د.كمال بشر، ط12، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (المقدمة)، ص20.

[2] ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م، ص8، 9.

[3] مختار عمر، علم الدلالة، ط5، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص11، 12.

ولأنّ علم الدّلالة يتناول دراسة المعنى، فإنّ بحوثه تتّسع لتشمل ما له علاقة بالمعنى الثابت والمتغيّر. يقول ميشال زكريا: « أما علم الدّلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللّغوي، ويتناول كل ما يتعلّق بالدّلالة، أو بالمعنى، فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة، ويقارن بين الحقول الدّلالية المختلفة»[1].

ومن المباحث الدّلالية :

أ) علاقة الدال بالمدلول :

يُعدُّ من أهم مباحث علم الدلالة قديما وحديثا، تحت مصطلحات مختلفة ، مثل علاقة اللّفظ بالمعنى أو علاقة الدال بالمدلول، وقد بحث دي سوسير هذه العلاقة اللّسانية ذات الطبيعة النفسية القائمة بين صورة سمعية أو دال من جهة، ومفهوم أو مدلول من جهة أخرى، يقول منقور عبد الجليل: « إنّ علم الدلالة ، يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلّا إذا تعرفنا على طبيعة كلّ من الدال والمدلول وخواصهما ...»[2].

ب) النظريات الدّلالية:

لقد حدث تقدُّم في نظرية الدّلالة، وكان من ثمراته النظريات الدّلالية. أفاد بها علم الدّلالة غيرَهُ من الدّراسات اللّغوية بمناهج علمية في دراسة اللّغة من الجانب الدّلالي، وأشهرها:

1. النظرية التحليلية :

وهي نظرية تقوم على تحليل دلالي لمحتوى الكلمة إلى مكوّناتها الدّلالية Composantes sémantiques لأنَّ معنى الكلمة يتحدّد بما تحتويه الكلمة من مكوّنات (أو ما تحمله من ملامح أو سمات دلالية) تميّزها عن

[1] ميشال زكريا، الألسنية: علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1983م، ص211.

[2] منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2001م، ص58.

غيرها[1]. وتعرف المكونات بأنها عناصر دلالية تشترك في تحديد معنى الكلمة. وتُسمّى أيضاً: سِمَاتٌ أو مَلَامِحُ دلالية[2]،ومن تطبيقات النظرية السابقة أنها تفيد في الشرح المعجمي من خلال تحليل المعنى الواحد للكلمة بما يُسهم في تحديد الكلمة المُعرّفة تحديداً دقيقاً من خلال عناصرها التكوينية المميّزة.

ومن جهة أخرى، تُسهم النظرية في حلّ مشكلات معجمية ودلالية، كالحكم على ترادف الألفاظ من عدمه، وفي تحليل كلمات المشترك اللّفظي، وتمييز " الاشتراك اللّفظي" عن " تعدّد المعنى"، وذلك بالنظر إلى وجود ملامح دلالية مشتركة من عدمها[3]، و« هي نظرية تقوم على دراسة معنى الكلمة في علاقتها بكلمات أخرى تشترك معها في نفس الحقل الدّلالي. يرى "ج. ليونز" j. Lyons أنّنا نفهم معنى الكلمة بالنّظر إلى محصِّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي»[4]، لذلك يلجأ المُعجمي إلى تحديد العلاقات الدّلالية التي ترتبط بها الكلمات فيما بينها داخل هذا المجال الدلالي للكشف عن الملامح الدّلالية المُميِّزة لكلِّ كلمة.

من هنا، تفيد النظرية المذكورة من خلال جمع الرصيد المفرداتي للّغة في المعجم، وضبط التّغيرات الدّلالية، ووضع شروح دقيقة للمعنى المعجمي في ضوء العناصر الدّلالية المكوِّنة لكلّ مدخل معجمي داخل الحقل الذي تنتمي إليه الكلمة[5].

ومن شأن فكرة الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه الكلمة أن يساعد في معالجة بعض المشاكل المعجمية والدّلالية، كالحكم على التّرادف من عدمه، والتمييز بين تعدّد المعنى والمشترك اللّفظي،(أو الهومونيمي عن البوليزيمي)، ويترتّب على ذلك تحديد المداخل المعجمية لكلّ نوع؛ لأنّ الكلمات المنتمية إلى حقول دلالية

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص114، 121 .

[2] ينظر: سامي عيّاد حنّا وآخرون، معجم اللّسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م، ص125.

[3] أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص134، 137.

[4] المرجع نفسه، ص80.

[5] ينظر: حلمي خليل الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر، 1998م، ص154.

مختلفة سوف تُعالج على أنّها كلمات مُنفصِلة (هومونيمي)، في حين تُدرج الكلمات الأخرى تحت مدخل واحد باعتبارها كلمة واحدة في إطار بوليزيمي[1].

وللإشارة، فإنَّ علماء العربية كانوا سبّاقين في تصنيف المفردات بحسب المعاني أو الموضوعات، كـ "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، و"فقه اللّغة وأسرار العربية" للثعالبي (ت430هـ)، و" المُخصّص" لابن سيده[2].

2. النظرية السّياقية :

وهي نظرية شاعت في الدّراسات الدّلالية الحديثة، تتخذ من السياق Contexte أساساً لدراسة المعنى؛ لأنّ معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو " استعمالها في اللّغة "، أو كما يُصرّح " فيرث" بأنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة[3].

هذا، وقد تنبَّه علماء العرب القدامى إلى أهمية المقام (سياق الحال) في فهم دلالات الألفاظ، فقد أشار المفسّرون إلى فكرة سياق الحال من خلال معرفة أسباب النزول، وأولى الأصوليون أهمية إلى سياق الحال في قواعدهم اللّغوية لفهم النصوص، واستنباط الأحكام، وهو ما سنتناوله في الفصل الأوّل في دراستنا.

ج) التّغير الدّلالي :

إنّ اللّغة كأيّ ظاهرة اجتماعية عرضة للتّغير في مختلف عناصرها: أصواتها، وقواعدها، ودلالاتها، ولذلك فإنّ دراسة التّغير الدّلالي تعتبر المحور الرئيس في علم الدّلالة الحديث، وقد تركزت جهود

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص113.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب،ط8، عالم الكتب،القاهرة، مصر، 2003م، ص288 وما بعدها.

[3] أحمد مختار عمر، المرجع السّابق، ص68.

الباحثين فيه على جوانب التّغيرات المتعاقبة التي تحدث للمعنى، وكان من أهمّ ما درسه علماء اللّغة أسباب حدوثه، ومظاهره.

إنَّ هذا التّغير له أسباب أدّت إليه، لكنها في كثير من الأحيان معقّدة ومتشابكة، غير أنَّ هذا لم يمنع علماء اللّغة من تحديد أسباب رئيسة للتغير الدلالي، وهي أسباب: لغوية وتاريخية واجتماعية[1]، وشاع حديثًا ثلاثة أشكال للتغيّر الدلالي، تقوم على مبدأ المقارنة بين المعنى الجديد، والمعنى القديم بعد أن اتضح أنَّ المعنى الجديد إمّا أن يكون أوسع من القديم، أو أضيق منه، أو مساوياً له، وتتمثّل أشكال التّغير الدّلالي فيما يلي:

1- تعميم المعنى (أو توسيعه).

2- تخصيص المعنى (أو تضييقه).

3- انتقال المعنى (بالاستعارة أو المجاز المرسل)[2].

د) العلاقات الدّلالية :

يهتم علماء اللّغة والمعاجم بدراسة ظواهر لغوية تهتم بشرح العلاقات الدّلالية بين الكلمات في اللّغة الواحدة Relations Sémantiques، مثل أن يكون اللّفظان دالّيْنِ على معنى واحد، فتُسمَى العلاقة بـ"التّرادف"، أو أن يكون اللّفظ دالاً على معنيين فأكثر، وتُسمى العلاقة حينئذٍ بـ" الاشتراك اللّفظي" ، وإذا كان المعنيان متضادَّين سمّيت العلاقة بـ" التّضاد "[3].

[1] أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص180.

[2] حول أشكال التغير الدلالي، ينظر: أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص191 -190، وإبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،ط5،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،مصر، 1963م، ص152-155.

[3] حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص109.

ولا نعدم مثل هذا الاهتمام عند علماء العربية، فقد كان سيبويه أوّل المنظّرين لعلاقة اللّفظ بالمعنى، إذ خصّص باباً من أبواب كتابه للحديث عن الألفاظ ودلالاتها، حيث قسم الألفاظ- بحسب انصرافها إلى دلالاتها- إلى ثلاثة أقسام:

1- اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين، نحو ذَهَبَ وَجَلَسَ.

2- اختلاف اللّفظين والمعنى واحد، نحو ذَهَبَ وَانطَلَقَ.

3- اتّفاق اللّفظين والمعنى مختلف، نحو: وَجَدتُ عَليهِ مِنَ المَوجَدة، ووجَدتُ الضَّالَة[1].

فالقسم الأَوّل هو المُتبَاين، والثّاني هو المُترادف، والثّالث يُقصَد بِهِ المُشتَرك اللّفظي:

1. التّرادف :

يُرَاد بِهِ في الاصطلاح عند القدماء: «الألفاظ المفردة الدّالة على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ»[2].

ومن أمثلته في العربية أسماء السيف. ومنها: "الصارم، والرداء والخليل، والقضيب، والحسام..."[3].

2. المشترك اللّفظي:

يُطلق هذا المصطلح ويُراد به عند القدماء: « اللّفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة »[4].

وسنقف عند هذه العلاقة الدلالية في الفصل الثاني من دراستنا.

[1] سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار عالم الكتب، بيروت، دت، ج1، ص24.
[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين، دط،دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1، ص402.
[3] ينظر: المرجع نفسه،ص407ـ409.
[4] المرجع نفسه، ص369.

3. التّضَاد :

يُقصد بالأضداد في اصطلاح العلماء الكلمات التي تؤدّي دلالتين متضادّتين بلفظ واحد، يقول ابن الأنباري في مقدمة كتابه الأضداد: « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادّة ، فيكون الحرف منها مؤدّياً عن معنيين مختلفين »[1]، فيكون الأضداد نوعاً من المشترك اللّفظي، قال السيوطي: «هو نوعٌ من المشترك»[2]، ومن أمثلته في العربية: السُّدفة: الظلمة والضوء، والجّوْنُ : الأبيض والأسود[3].

[1] ابن الأنباري، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،1991م، ص1.

[2] السيوطي، المزهر، ج1، ص387.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص389ـ390.

الفصل الأوّل:

السياق عند القدماء والمحدثين.

- المبحث الأوّل: السياق عند القدماء.
- المبحث الثاني: السياق عند المحدثين.
- المبحث الثالث: السياق القرآني.

لقد نال السياق عناية من العلماء قديمًا وحديثا؛ لأنّه وسيلة مهمّة لكشف المعنى، ولذلك لا يخلو الدّرس اللّغوي قديماً وحديثاً من البحث في مفهومه، وأنواعه، وأثره في تحديد الدّلالة.

المبحث الأوّل: السياق عند القدماء.

أولاً- مفهوم السياق:

تناول علماء العربية السياق ودلالته، وهذا نابع من اهتمامهم بترابط الكلام وحمل آخره على أوّله، والاهتمام بسياقه، وما يحيط به من قرائن لفظية وحالية، جاء في تعريف السياق عند ابن منظور (ت711ه) في مادّة (سوق) « السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقاٍ وسِيَاقاً ...وقد انسَاقت وتَسَاوَقت الإبلُ تَسَاوُقاً إذا تتابعت....»[1].

وقال الجوهري(ت393ه): « ويقال : ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية...»[2]، فاللّفظ من خلال مادة السوق تدور حول معنى التّتابع، وأمّا من حيث مفهومه الاصطلاحي، فإنّه لا يوجد تعريف دقيق عند القدماء، وإنّما يظهر حديثهم عنه من خلال استعماله وتعويلهم عليه والإشارة إليه[3].

وممّن أشار إليه السجلماسي، حيث يرى "ردة الله الطلحي"، أنّه حرّر مفهوم السياق نصاً، وذلك في قوله: « هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأوّل»[4].

[1] ابن منظور .لسان العرب، (مادة سوق)، ج10، ص166.

[2] الجوهري: الصحاح، تحقيق : إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، ط5، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان،2011م، ص655- 656.

[3] ينظر: ردة الله بن ردّه الطلحي، دلالة السياق، ط1،منشورات جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1424ه، ص41 وما بعدها.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص50،48.

ثانياً- دلالة السياق و أنواعه:

لقد تنبّه اللّغويون العرب إلى دلالة السياق منذ وقت مبكر، فأدركوا أثر السياق في الكشف عن المعنى المقصود الذي أفاده تتابع الكلام وانتظامه في ذلك التّركيب، وفي البيئة التي قيل فيها مراعيا فيها حال المتكلّم والسّامع.

يقول ابن الأنباري(ت328ه) في شأن اللّفظ المشترك بالتضاد: « إنّ كلام العرب يصحّح بعضه بعضا ويرتبط أوّله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلاّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه... فلا يعرف المعنى المقصود إلاّ بما يتقدّم الحرف، ويتأخّر بعده ممّا يوضّح تأويله، فجاز وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادين، لأنّه يتقدّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الأخر، ولا يراد به في حال التكلّم والإخبار إلاّ معنى واحداً»[1].

ثمّ يعمّمه في اللّفظ المشترك في المعاني المختلفة غير المتضادة، يقول: « ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلّا بما يتقدّم الحرف، ويتأخّر بعده ممّا يوضّح تأويله»[2]، ويكون ابن الأنباري قد وقف عند نوع من السياق يعرف بـ"السياق اللغوي"، وفكرة النظم عند البلاغيين مؤشّر على أهمية السياق في تحديد الدّلالة من خلال التّعليق بين الألفاظ وما تؤدّيه من معاني، يقول الجرجاني(ت471ه) : « الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة لم تُوضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضم بعضُها إلى بعض فيُعرف فيما بينها فوائد»[3].

وهذا تأكيد على دور السياق في إفادة المعنى المقصود من خلال التلازم بين الكلمات.

[1] ابن الأنباري، الأضداد، 1991م، ص2.

[2] المرجع نفسه، ص 03- 04.

[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، ط2،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ص39.

ولقد كان الجاحظ (ت255ه) على وعي بفكرة السياق، فقد أشار إلى نوع من السياق يعرف "بسياق الموقف" الذي يحقّق وظيفة التواصل بإفادة المعنى المقصود، يقول: « ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً»[1]، فحالة المتكلّم والمستمع عنصران من عناصر يعرف بـ"سياق الموقف"أو" سياق الحال"[2] .

لقد رأى البلاغيون أنّ " لكلّ مقام مقال"، لأنّ صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام وبهذا الاعتراف بفكرة المقام كان البلاغيون ـ في نظر تمام حسان ـ متقدّمين ألف سنة تقريبا على زمانهم ؛لأنّ الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللّغة[3].

ويقف ابن جني(392ه)عند سياق الموقف (الحال) وأثره في تحديد الدلالة، قائلاً : « من ذلك أن ترى رجلا قد سدّد سهما نحو الغرض، ثمّ أرسله، فتسمع صوتاً، فتقول القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، ف(أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتّة، وإن لم يوجد في اللّفظ، غير أنّ دلالة الحال نابت مناب اللّفظ»[4].

و هذا يدل على إدراك علماء العربية لفكرة سياق الموقف أو الحال، وتعويلهم عليه في الكشف عن المعنى.

[1] الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الجيل، بيروت،دت، ج1، ص138.

[2] ردة الله الطلحي، دلالة السياق،ص42.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1979م، ص337.

[4] ابن جني الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، مصر، دت، ج1، ص285.

المبحث الثاني: السياق عند المحدثين.

أولاً ـ مفهوم السياق:

لقد أكّد اللّسانيون المحدثون على دور السياق في تحديد المعنى، ولذلك كان للمنهج السياقي أثره في تطوّر الدّرس الدّلالي الحديث.

وقد قامت النظرية السياقية: (Contextual theory) على مفهوم السياق الذي يعني التركيب أو السياق الذي ترد فيه الكلمة، ويسهم في تحديد المعنى المتصوّر لها[1].

فالسياق من هذا المنظور هو « دراسة الكلمة داخل التركيب أو التّشكيل الذي ترد فيه إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي أو لا تتعدّد إلّا من خلال السياق بضروبه المختلفة»[2].

وقد ارتبطت النظرية السياقية باللّساني البريطاني "فيرث"(Firth)، ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللّغة،أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤدّيه، ولهذا يصرّح "فيرث" بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة[3]، و على هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلّب تحليلا للسّياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي[4].

ممّا سبق يتبيّن أنّ السياق في مفهومه عند المحدثين يشمل الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة، وهو في الوقت نفسه مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللّغوية والاجتماعية،أي السياق الاجتماعي للاستعمال اللّغوي،أو سياق الحال.

---

[1] سامي عياد حنا وآخرون، معجم اللّسانيات الحديثة،(انكليزي ـ عربي) ،1997م، ص28

[2] نور الهدى لوشن،: علم الدلالة دراسة وتطبيق، ط1، المكتب الجامع الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006م، ص 95.

[3] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص68.

[4] المرجع نفسه، ص 69.

ثانياً ـ أنواع السياق ودلالته عند المحدثين.

يتنوّع السياق عند المحدثين تبعا لطبيعة الحدث اللّغوي والظروف المحيطة به، يقول أولمان: «وكلمة السياق(Context) قد استعملت حديثا في عدّة معاني مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي" النظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم" بأوسع معاني هذه العبارة، إنّ السياق على هذا التّفسير ـ لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ــ بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل ـ بوجه من الوجوه ـ كلّ ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللّغوية المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»[1] وبذلك يكون "أولمان" قد حدّد مفهوم السياق وأنواعه(السياق اللّغوي الخاص، والسياق اللّغوي العام(أي النص)، وسياق المقام)، كما اقترح "أمير"(Ammer) ـ فيما نقله أحمد مختار عمر ـ تقسيمات للسياق تمثلت فيما يلي[2]:

1. **السياق اللّغوي(linguistic context):** الذي يتعلّق بالعناصر اللّغوية وعلاقاتها فيما بينها داخل التركيب اللّغوي، وقد مثل لها أحمد مختار عمر بلفظ (good) الإنجليزية، ومثلها كلمة(حسن) العربية، أو (زين) بالعامية التي تختلف معانيها باختلاف السياقات التي تقع فيها:
   - إذا وردت في سياق لغوي مع كلمة "رجل" كانت تعني الناحية الخلقية.
   - وإذا وردت وصفا لطبيب مثلاً كانت تعني التفوّق في الأداء.
   - وإذا وردت وصفاً لمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة...[3].

[1] أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 68.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة،ص70،69.

[3] المرجع نفسه، ص69ـ 70 .

2. **السياق العاطفي(Emotional context):** الذي يرتبط بمعيار قوة أو ضعف الانفعال بما يؤثّر على دلالة الكلمة، فكلمة Love في الإنجليزية غير كلمة Like رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب، وكلمة(يكره) العربية غير كلمة(يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى[1].
3. **سياق الموقف أو المقام(Situational context):** الذي يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعا لتغير الموقف أو المقام، مثل كلمة "يرحم" في مقامين مختلفين: (يرحمك الله) في مقام تشميت العاطس، و(الله يرحمه) في مقام الترحم بعد الموت[2].
4. **السياق الثقافي أو الاجتماعي(Cultural context):** ويقصد به المحيط الثقافي أو الاجتماعي فتتحدد دلالتها مثل كلمة (جذر) ومعانيها المختلفة بين المزارع واللّغوي وعالم الرياضيات[3].

يرى بعض الباحثين أنّ هذا التّقسيم الرباعي تعسفٌ في فهم السياق، يقول فريد عوض حيدر: « في هذا التّقسيم السابق للسياق تعسف ظاهر، وتفتيت متكلّف، لا حاجة للدّرس اللّغوي إليه، لأنّ السياق نوعان لا ينفصلان، سياق لغوي، وسياق الحال، والأوّل يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي، وهذه الظروف الملابسة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق عند (ك. أمير)..»[4]، وبعبارة أخرى يمكن تقسيم السياق عموماً ـ من حيث المصطلح ـ إلى نوعين: لغوي وغير لغوي، والثاني يتضمّن سياق الموقف والسياق العاطفي والسياق الثقافي، وهذا ما يفهم ممّا ذكر عند أحمد مختار عمر و أولمان سابقاً.

[1] أحمد مختار، علم الدّلالة، ص70- 71.

[2] المرجع نفسه،ص 71.

[3] المرجع نفسه،ص71.

[4]ينظر: فريد عوض حيدر، علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)،ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دت، ص163.

وللسياق ـ بأنواعه ـ أثر في تحديد دلالة المشترك اللّفظي عند المحدثين؛ يقول الفاسي الفهري: «اختيار مفهوم ملائم من بين لائحة المفاهيم التي يعبّر عنها المشترك يتطلّب مجهودًا معرفيا خاصا ويتسبب أحيانا في أخطاء، ويقع رفع الالتباس عن طريق السياق اللّغوي المباشر، أو السياق الخطابي، أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل، أي كلّ المصادر متوفرة لرفع اللّبس، وهناك عمليات معرفية ينظر فيها السياق اللّغوي للكلمة، فترفع بعض اللّبس بواسطة القيود التفريعية أو السياقية»[1].

ومن هنا ـ كما يقول بيار جيرو ـ: « إذا استطاع اسم من الأسماء أن تكون له معاني عديدة، فيجب أن يعلم أنّها معاني محتملة، وأنّ أحد هذه المعاني يتحقق ضمن سياق معين»[2].

[1] الفاسي الفهري، اللّسانيات واللغة العربية،ط1، منشورات عويدات، بيروت،1986م، ص372.

[2] بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي،ط2 ،دار طلاس، دمشق، سوريا، 1992م، ص56.

المبحث الثالث: السياق القرآني.

لقد أشار المفسّرون ـ والباحثون في علوم القرآن عموماً ـ إلى مفهوم السياق، وأنّه طريق لفهم النص القرآني، يقول الزركشي(ت794ه): « وممّا يعين على المعنى عند الإشكال..دلالة السياق..وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وأنظر إلى قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1]،كيف تجد سياقه يدلّ على أنّه الذليل الحقير»[2].

ولهذا كان على المفسّر اعتماد السياق، يرى السيوطي (ت911ه) أنّه ممّا يجب على المفسِّر أن يتحرّى في تفسيره مراعاة التّأليف والغرض الذي سِيق له الكلام[3].

ويلفت الزركشي النظر إلى أهمية السياق للمفسر، يقول:« ليكن محط نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللّغوي لثبوت التجوّز؛ و لهذا ترى صاحب "الكشاف"(أي الزمخشري(ت538ه)) يجعل الذي سِيق له الكلام معتمدا، حتى كأنّ غيره غير مطروح»[4].

وهذا الاهتمام يرجع إلى أنّ التفسير يعتمد علوم اللّغة، ومعرفة كلام العرب واستعمالاتها[5]، ولذلك وجدنا المفسّر يراعي السياق من خلال توزيع الوحدة اللّغوية بحصر سياقاتها المختلفة في القرآن، ومن شأنه أن يحدّد معنى من معانيها المتعدّدة، كما يتيح له تحديد معناها العام(المعنى اللّغوي)، والعلاقات المختلفة بين العناصر اللّغوية، ويختار تأويلا ملائما بعد فحص النسيج اللّغوي، وما يحتويه من سمات تركيبية أو دلالية للعناصر اللّغوية، كما يحرص المفسّرون على الدّقة في تقصّي الحقائق اللّغوية، فهم يجمعون بين

[1] سورة الدخان ، الآية: 49.

[2] ينظر:الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1980م، ج2،ص200 - 201.

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دط، دار الفكر، بيروت، دت،ج2، ص185.

[4] الزركشي ، المرجع السابق، ص317.

[5] ينظر:الذهبي، التفسير والمفسرون، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت، ج1، ص255ـ258.

البحث المعجمي والسياقي- من خلال الاستعمال اللّغوي والقرآني- وهذا من شأنه الكشف عن العلاقة بين المعنى اللّغوي والمعنى السياق، يقول ابن قتيبة(ت279ه) في عرضه لمعاني لفظ "الظلم" في القرآن : أصل "الظلم" في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه...ثم قد يصير الظلم بمعنى "الشرك"، لأنّ من جعل لله شريكا، فقد وضع الربوبية غير موضعها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ويكون الظلم : النقصان، قال تعالى: ﴿ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾... ويكون الظلم: الجحْدَ، قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾، أي جحدوا بأنّها من الله[1]، وبذلك، يكون ابن قتيبة قد ربط بين المعنى الأصلي للّفظ، وما يتفرع عنه من معاني سياقية بحسب القرائن.

كما يتّسع السياق في القرآن الكريم ليشمل السياق اللّغوي الخاص والعام، وسياق المقام(حول أنواع السياق عند المفسرين)[2]، وهي ضرورية لتخصيص معنى دلالي في سياق واحد.

1. السياق اللّغوي الخاص:

إنّ المداخل المعجمية لا تأخذ أبعادها الدلالية إلاّ ضمن محيطها الدّلالي الذي يحدّد القيمة الدلالية للعنصر اللّساني تحديدًا دقيقًا، ومن أثر السياق اللّغوي الخاص في توجيه دلالة المشترك اللّفظي عند المفسّرين ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ والصّبح إذا تنفّسَ﴾[3]، حيث أنّ "عسعس" لفظ مشترك بالتضاد، وهو يحيل على:

1. عَسْعِسَ بمعنى أقبل.

[1] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط3، المكتبة العلمية،1981م، ص467.

[2] ينظر: طاهر حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، دط، الدار الجامعية،الإسكندرية، مصر، 1983م، ص213 ،وما بعدها .

[3] سورة التكوير، الآيتين : 17 – 18.

2. عَسْعَسَ بمعنى أدبر.

رجّح الطبري (ت310ه) دلالة "عسعس" بمعنى أدبر، و استبعد معنى أقبل في الآية، قال: « لقوله تعالى: ﴿ والصّبح إذا تنفّسَ﴾[1]، فأقسم الله باللّيل مدبرا، والنهار مقبلا»[2].

ويكون المفسّر قد أدرك علاقة التوارد بين الوحدات اللغوية، وتجاورها من خلال لفظ "عسعس" مع "الليل"، يقابلها "تنفس" مع "الصبح"، والمحيط الدلالي بذلك اختار مدلولاً واحداً، ومثله لفظ " الصَّلاة " إذ يتعيّن فيه معنى العبادة (وهو معنى شرعي) في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[3] وتصرفه قرينة لفظية إلى معناه اللّغوي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4] بمعنى الرحمة والدعاء[5].

2. السياق اللّغوي العام :

ومن عناصره "تفسير القرآن بالقرآن"، وهو المحيط الدلالي العام، فما أجمل في مكان يفسّر في مكان آخر[6]، نحو تأويل لفظ "عسعس" بمعنى"أقبل" في قوله تعالى: :﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[7]، يقول ابن كثير (ت774ه) : « والمراد به إذا أقبل، و إن كان يصح الإدبار، لكن الإقبال هنا أنسب، كأنّه أقسم باللّيل وظلامه إذا أقبل، والفجر بضيائه إذا أشرق، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ والنهار إذا تجلّى﴾ »[8]. فالمفسّر

[1] سورة التكوير، الآية : 18.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دط،دار الفكر، بيروت،1405ه، ج12، ص469.

[3] سورة البقرة، الآية : 110.

[4] سورة الأحزاب، الآية: 56.

[5] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دط،دار المعرفة، بيروت،دت، ج3، ص272 .

[6] ينظر:الذهبي، التفسير والمفسرون،ج1،ص261

[7] سورة التكوير، الآية : 17.

[8] سورة اللّيل: 01 – 02، و ابن كثير، تفسير القرآن، دط، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، دت، ج7، ص229.

استعان بسياق لغوي عام، فيما يُعرف بـ"تفسير القرآن بالقرآن"، وهذا ما يكشف طبيعة العلاقات بين العناصر اللّغوية على مستوى النص الأكبر (القرآن).

3. سياق المقام:

وهو الإطار الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام، أو الموقف الخارجي، أوحال الخطاب من ظروف وملابسات، فالمدخل المعجمي يتغيّر مدلوله بتغيير سياق المقام الذي يرد فيه، ومن عناصر "سياق المقام" عند المفسّرين أسباب النزول، ومعرفة عادات العرب، ومقاصد الشريعة، فالمقام يبيّن وجه الحكمة الباعثة على تشريع حكم، ولذلك يرى المفسّرون أنّه لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها[1].

ومن أمثلته في توجيه دلالة المشترك، ما ورد في تأويل لفظ "المحيض" الذي يحيل على معاني متعدّدة لأنّه لفظ مشترك بتشابه الصيغة في النظام الصرفي يحيل على :

- المحِيضُ : بمعنى الحيض (دلالة المصدر)
- المحِيضُ : بمعنى زمان الحيض (دلالة اسم المكان)
- المحِيضُ : بمعنى موضع الحيض (دلالة اسم المكان)

يقول الراغب (ت503هـ) في مادة (حيض): « الحَيْضُ الدّم الخارج من الرّحم على وصف مخصوص في وقت مخصوص، والمحِيض الحَيضُ ووقتُ الحَيضِ وموضِعُه»[2]، وإذا كانت دلالة "المحيض" تتعدّد بين معنى "زمان الحيض" و "موضع الحيض"[3]، في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ

[1] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون،ج1، ص255،260.

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1997م ، ص154.

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج2،ص382 وما بعدها.

فِي الْمَحِيضِ ﴾[1]، فإنّ سياق المقام يشير إلى معنى "موضع الحيض" في الآية المذكورة؛ لأنه روي في سبب نزولها أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت(لم يجتمعوا معها في بيت واحد)، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾، فقال: « اصنعوا كل شيء إلاَّ النكاح»[2]، وهكذا يكتشف المفسر القرائن من خلال النص أو يتولى البحث عنها خارج النص لاستجلاء المعنى ورفع الغموض، وإذا كان السياق يزيل كثيرا من الالتباس الدّلالي للوحدة اللّغوية، فيترجّح معنى خاص، و قد يبقى المعنيان محتملين لاختلاف القرائن، وتقديرها عند كل مفسّر.

[1] سورة البقرة، الآية: 222.

[2] ينظر: الطبري، المصدر نفسه، ج2،ص83.

الفصل الثاني:

المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي والقرآني.

- المبحث الأوّل - المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي.
- المبحث الثاني- المشترك اللّفظي في الحقل القرآني.

المبحث الأوّل - المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي :

أوّلاً: المشترك اللّفظي عند القدماء :

المشترك اللّفظي هو أحد المظاهر الدّلالية التي أدركها علماء العربية، وأولوها عناية خاصّة منذ وقت مبكّر.

أ) مفهوم المشترك اللّفظي:

يطلق هذا المصطلح عند القدماء ويراد به: «اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة».[1]

ويعرّفه الجرجاني: « ما وُضِع لمعنى كثير بوضع كثير، كالعين، لاشتراكه بين المعاني» [2]، ونجد أولى المحاولات التّنظيرية للمشترك عند سيبويه في تقسيمه للكلام : «إعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين، والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين... واتّفاق اللّفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالة ، وأشباه هذا كثير»[3].

و قد أفرد له ابن فارس بابا في كتابه "الصّاحبي"، فقال :

« معنى الاشتراك أن تكون اللّفظة محتملة لمعنيين أو أكثر»[4].

---

[1] السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ص369.

[2] الشريف الجرجاني، التعريفات، ص190.

[3] سيبويه، الكتاب 1/7- 8.

[4] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط 1 .تح: الدكتور عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1444هـ، 1993م، ص261

والمشترك اللّفظي عند ابن جني (ت392هـ) يعمّ الأسماء والأفعال والحروف، قال: « من، ولا، وإنْ، ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد؛ لأنّها حروف وقعت مشتركة، كما وقعت الأسماء مشتركة، نحو كلمة "الصّدى" فإنّه ما يعرض الصّوت، و هو بدن الميّت، وهو طائر يخرج فيما يدّعون من رأس القتيل إذا لم يؤخذ بثأره، وهو أيضا الرجل الجيّد الرعيّة للمال في قولهم: هو صدى مال، ونحوه ممّا اتّفق لفظه واختلف معناه، وكما وقعت الأفعال مشتركة، نحو: وجدت..فكذلك جاء نحو هذا في الحروف»[1].

ومن أمثلتهم للمشترك اللّفظي[2]:

1. **العَينُ**: ومن معانيها:

- العينُ: عين الشّمس.
- العينُ: حاسّة البصر.
- العينُ: الإصابة بالعين.
- العينُ:الجاسوس والرقيب.
- العينُ: النقد من الدراهم.
- عينُ الشيء: نفسه أو خياره.
- العينُ: سحابة تأتي من ناحية القبلة.
- العينُ: عينُ الماء.
- العينُ:مطر أيّام كثيرة لا يقلع...

2. **وَجَدَ**: ومن معانيه:

[1] ابن جني، الخصائص، ج3،ص110- 111.

[2] ينظر: السيوطي،المزهر،ج1،ص370 - 377.

- وجد: وجدتُ في الغضب .
- وَجَدَ: : وجدتُ في الحزن .
- وَجَدَ: وجدتُ الشيء.
- وَجَدَ: علمتُ.

3. **الخّالُ:** ومن معانيه:

- الخال: أخو الأم.
- والخال: المكان الخالي.
- الخال: الشّامة في الوجه.
- الخال: العصر الماضي.
- الخال: السحاب.
- الخال: البعير الضّخم.

ب) وقوع المشترك اللّفظي عند القدماء :

لم تكن هذه الظاهرة في منأى عن الاختلاف فيها، غير أنّ الإقرار بها هو الرّأي الغالب عند القدماء[1]، يقول السيوطي:« واختلف الناس فيه، فالأكثرون على أنّه ممكن الوقوع، كجواز أنّ ما من واضعين، بأن يضع أحدهما لفظ لمعنً ثمّ يضعه لآخر، لمعنً آخر ،ويشتهر ذلك اللّفظ بين طائفتين في إفادته المعنيين، وهذا على أنّ اللّغات غير توقيفية، وإمّا من واضع واحد لغرض إبهام على السّامع؛ حيث يكون التّصريح سببا للمفسدة»[2].

[1] ينظر: السيوطي، المزهر:ج1،ص 369- 372.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 369- 372 .

فقد رأى السيوطي سببين لوقوع المشترك: تعدّد الوضع، فيشتهر ذلك اللّفظ بين الطائفتين في لإفادته المعنيين، أو أن يكون من واضع واحد لسبب كالإبهام.

ويقول أيضا: « لأنّ الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة والأفعال الماضية المشتركة بين الخبر والدّعاء، والمضارع كذلك، وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال والأسماء كثيرة فيها الاشتراك، فإذا ضممناها إلى قسمي الحروف، والأفعال كان الاشتراك أغلب»[1].

وهذا السّبب يعود إلى طبيعة اللّغة، من حيث تعدّد أسمائها وأفعالها وحروفها، بينما أنكر بعض علماء العربية وقوع المشترك اللّفظي، أو ضيّقوا من دائرته تضيّيقا شديدًا، ومن بينهم "ابن درستويه" (ت347ه)، و "أبو هلال العسكري"(ت395ه)، و"أبو علي الفارسي"(ت377ه).

لقد أنكر ابن درستويه وقوع المشترك اللّفظي في اللّغة العربية ، «حيث جاء عنه في المزهر: قال ابن درستويه في شرح الفصيح ، وقد ذكر لفظة (وجد)، واختلاف معانيها، هذه اللّفظة من أقوى حجج من يزعم أنّ من كلام العرب ما يتّفق لفظه ويختلف معناه؛ لأنّ سيبويه ذكره في أوّل كتابه، وجعله من الأصول المتقدّمة، فظنّ من لم يتأمّل المعاني، ولم يتحقّق الحقائق أنّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنّما هذه المعاني كلّها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا، ولكن فرّقوا بين المصادر؛ مختلفة»[2].

ولعلّه كان يرُدّ بذلك على "المبرّد" الذي مثّل لاتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين بقوله: « وجدتُ شيئاً: إذا أردت وِجْدان الضّالة، ووجدتُ على الرجل من الموجدة، ووجدتُ زيدا كريماً، أي: علمتُ»[3].

[1] ينظر: السيوطي،المزهر، ج1، ص369- 372.

[2] المصدر نفسه، ص 303.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص389.

ويظهر من قول ابن درستويه أنّه يخرج من مفهوم المشترك كلّ ما يمكن ردّ معانيه إلى معنى عام يجمعهما ، وسبب إنكار ابن درستويه للمشترك اللّفظي لما يسبّبه من لبس دلالي يعيق التّواصل، يقول: « وإنّما اللّغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدّلالة على معنيين مختلفين؛ أو أحدهما ضدّ الآخر لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية»[1].

كما أنكر أبو هلال العسكري وقوع المشترك اللّفظي حيث قال : « وقال بعض النّحويين: لا يجوز أن يدل اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكلّ واحد منهما، فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل، وألبس على المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلّة المشكلّة؛ إلاّ أن يدفع إلى ذلك ضرورة أو علّة، ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلّا ما شذ وقل»[2].

ومن جهته، أنكر أبو علي الفارسي أن يكون الاشتراك في أصل الوضع، قال: «اتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألّا يكون قصدا في الوضع، ولا أصلا ولكنه من لغات تداخلت ،أو أن تكون كلّ لفظة تستعمل بمعنى ثُمّ تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل»[3].

ويكون أبو علي الفارسي قد أدرك سببين لوقوع المشترك، هما: التداخل اللّهجي، والاستعمال المجازي.

[1] ينظر:السيوطي، المصدر السابق، ص384 .

[2] أبو هلال العسكري،الفروق في اللغة،منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ص 14.

[3] ينظر: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط13،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، 1997م، ص304.

- ثانياً: الاشتراك اللّفظي عند المحدثين :

أ) مفهوم المشترك اللّفظي عند المحدثين:

تعدّدت تعريفات المحدثين للمشترك اللّفظي وتفاوتت، فهو: « ما اتّحدت صورة لفظه، واختلف معناه»[1]، أو« أن يدلّ اللّفظ على أكثر من معنى»[2]، وزاد بعضهم:« دلالة على السّواء عند أهل اللّغة»[3]، أو «أن يكون الاشتراك على طريق الحقيقة لا المجاز»[4].

وأمّا اللّغويون الغربيّون، فيفصلون في دراستهم للمشترك بين مصطلحين[5]:

- **Polysémie :** ويشير إلى « كلمة واحدة، معنى متعدّد » ، ويمثلون له بكلمة **opération** التي تصلح لمعانٍ متعدّدة بتنوّع الاستعمال،نحو: "عملية جراحية"، أو "عملية عسكرية" أو "عملية حسابية" ، وتعدّد المعنى فيه نتيجة لتطوّر في المعنى، وهو أقرب إلى المشترك اللّفظي في العربية.
- **Homonymie**: ويسمى "كلمات متعددة ، معانٍ متعدّدة"، وهو مجموعة من الكلمات لا علاقة بينها سوى اتّفاقها في الصّيغة أو الشّكل، مثل (vers. Vert...) ، وتعدّد المعنى فيه لتطوّر في اللّفظ، وهو أقرب إلى الجناس التّام في العربية.

ب) وقوع المشترك اللّفظي عند المحدثين:

لا يختلف موقف المحدثين عن القدماء في وقوع المشترك اللّفظي، منهم من أثبته في العربية، وفي جميع اللّغات[6]، وقد وسّع بعضهم من دائرة المشترك، فهو يردّ عندهم بأيّ من طرق التطوّر سواء على سبيل

[1] صبحي الصالح، المرجع السابق، ص302.

[2] أحمد مختار عمر،علم الدلالة،ص145.

[3] رمضان عبد التواب،فصول في فقه العربية،ط3،مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر، 1987م،ص324

[4] عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط6، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1968م،ص183.

[5] ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص162.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص162، وما بعدها.

الحقيقة، أو تلتمس له معان متطورة على سبيل المجاز[1]، يقول علي عبد الواحد وافي : « فمن التعسّف محاولة إنكار المشترك إنكارًا تامًا وتأويل جميع أمثلته تأويلًا يخرجها من هذا الباب، وذلك أنّه في بعض الأمثلة لا توجد بين المعاني التي يطلق عليها اللّفظ الواحد أيّة رابطة واضحة تسوّغ هذا التّأويل»[2].

وكان إميل بديع يعقوب من المحدثين الذين انتصروا لوقوع المشترك اللّفظي في العربية، حيث قال: « والحقّ أنّ الاشتراك اللّفظي ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم،...وقد كان له عند أهل البديع وبخاصّة المتأخّرون مكانة مرموقة، فلولاه ما راجت سوق التروية والاستخدام، والجناس التام،وطرق التّعمية والإبهام»[3].

وفي المقابل، ضيّق بعض المحدثين من دائرة المشترك، فأخرج منه كلّ ما كان على سبيل المجاز، يقول إبراهيم أنيس: « إذا ثبت لنا من النصوص أنّ اللّفظ الواحد قد يعبّر عن معنيين متباينين كلّ التباين، سمّينا هذا بالمشترك اللّفظي، أمّا إذا اتّضح أنّ أحد المعنيّين هو الأصل، وأنّ الآخر مجاز، فلا يصحّ أن يعدّ مثل هذا من المشترك اللّفظي في حقيقة أمره»[4].

ومن هنا، فإنّ الألفاظ المشتركة عنده حقيقة نادرة، وجلّه إن لم يكن كلّه ممّا تلحظ فيه الصّلة المجازية[5]، لكنّه مع تضييقه الشّديد لمفهوم المشترك في كتابه "دلالة الألفاظ" ، وقصره المشترك على كلمات معدودة، يصرّح من جهة أخرى في كتابه "في اللّهجات العربية" أنّ المعاجم قد امتلأت به، يقول: «...لا معنى

[1] ينظر. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة،ص213.

[2] . د.علي عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة ،ص 184.

[3] إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982م، ص 179.

[4] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص213.

[5] ينظر: إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط9، 1995م، ص191.

لإنكار المشترك اللّفظي مع ما رُوي لنا في الأساليب العربية الصّحيحة من أمثلة كثيرة، لا يتطرّق إليها الشّك»[1]، بل يذهب بعيدا حينما يجعل المجاز من أهمّ أسبابه، إذ سرعان ما تُنسى العلاقة المجازية وتصبح معانيه حقيقة[2]، فهو لم يستقر على رأي واحد في هذا الشّأن[3]، وكان رمضان عبد التوّاب ممّن أنكر كثيرا من كلمات المشترك في العربية، حيث يقول: « المشترك اللّفظي لا وجود له في واقع الأمر إلاّ في معجم لغة من اللّغات، أمّا في نصوص هذه اللّغة واستعمالاتها، فلا وجود إلاّ لمعنى واحد من معاني هذا المشترك اللّفظي»[4].

المبحث الثاني- المشترك اللّفظي في الحقل القرآني :

إنّ ممّا يرتبط بفهم القرآن، وتحليل النّص القرآني ما تردّد فيه من الألفاظ المحتملة التي تعدّدت معانيها بما يعرف بالمشترك اللّفظي، ومن هنا، تناولته كتب التّفسير، ومؤلّفات علوم القرآن، وخصّه بالاهتمام والدّراسة فرع من فروع الدّراسات القرآنية يشار إليها بـ"الوجوه والنظائر"،يقول ابن الجوزي: « واعلم أنّ معنى الوجوه والنّظائر أن تكون الكلمة الواحدة، ذُكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريدَ بكلّ مكان معنى غير الآخر، فلفظ كلّ كلمة ذُكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الوضع الآخر، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذن النظائر: "اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر»[5]، فإذا قلنا إنّ اللّسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه: اللّسان بعينه(العضو المعروف)، واللّغة، والدّعاء والثناء الحسن، فمعنى هذا أنّ اللّسان له أربعة وجوه، أو أربعة معاني، فهو مشترك لفظي[6].

---

[1] إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص191.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 192- 193.

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة،ص179.

[4] رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة العربية، ص334.

[5] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط3، مؤسّسة الرسالة، بيروت،1987م ،ص49.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص534.

ومن المؤلّفات التي اعتنت بهذا الجانب من التّفسير "الوجوه والنظائر(أو الأشباه والنظائر)"، لمقاتل بن سليمان (ت150ه)، و"الوجوه والنظائر" للدّمغاني (ت478ه)، و"نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" لابن الجوزي (ت597)[1].

أ) مفهوم المشترك عند المفسّرين:

يراد به عند المفسّرين: « أن يتّفق اللّفظ ويختلف المعنى، يقول الجصاص في تعليقه على لفظ "السّفيه": ...لأنّه ثبت أنّ السّفيه لفظ مشترك ينطوي تحته معان مختلفة»[2].

وقد تكون المعاني المختلفة باستعمال الشّرع لا اللّغة، يقول الجصاص عن لفظ (الإحصان) « فالإحصان في الشّرع اسم يقع على معانٍ مختلفة؛ غير ما كان لها في الشرع»[3]، وقد يكون بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز، يقول الزّركشي: « قد يكون اللّفظ مشتركًا بين حقيقتين أو بين حقيقة ومجاز، ويصح حمله عليهما جميعاً، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[4]، قيل: المراد "يُضارِر" ، وقيل: "يُضارَر"، أي الكاتب والشّهيد لا يُضارَر، فيكتم الشّهادة والخطّ، وهذا أظهر، ويحتمل أنّ من دعا الكاتب والشهيد لا يُضارِره، فيطلبه في وقت فيه ضرر»[5].

[1] ينظر: ابن الجوزي، مقدمة التحقيق، ص49 وما بعدها.

[2] الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد الصادق قمحاوي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1405ه، ج2، ص215.

[3] المصدر نفسه،ج3، ص93.

[4] سورة البقرة، الآية: 282.

[5] ينظر:الزركشي البرهان،ج2،ص207- 208.

ب) وقوع المشترك في القرآن الكريم:

اختلف الدّارسون قديمًا وحديثًا حول وقوع المشترك في القرآن الكريم بين منكر، ومضيّق، وموسّع لدائرته، فقد أنكره من القدماء بعض المعتزلة بناء على فكرتهم في الحسن والقبح الذّاتي العقلي، إذ هو ينافي الحكمة في البيان، ولذلك ينبغي تنزيه كلام الله عنه[1].

ويرى بعض المحدثين خلو القرآن من الألفاظ المشتركة ، لأنّها تعيق الفصاحة بما تثيره من غموض، لذلك وجب تنزيه لغة القرآن منه[2]، ومن الذين جوّزوا وقوعه في النصوص القرآنية، ضيّق بعضهم من دائرته، نلفي ذلك واضحًا عند إبراهيم أنيس، فهو يقول: « وأمّا ما وقع في القرآن من ذلك المشترك فقليل جداً،وجلّه إن لم يكن كلّه، ممّا نلحظ فيه الصّلة المجازية، كـ"العين" للباصرة ولعيون الأرض، و يندر أن يصادفنا كلمة، مثل "أمّة" التي استعملت بمعنى جماعة من الناس، وبمعنى الحين في قوله تعالى:﴿ **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ** ﴾[3]، وبمعنى الدّين في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ** ﴾ »[4].

بينما نجد من المحدثين من وسّع من دائرته في القرآن، نخصّ بالذّكر "أحمد مختار عمر" الذي خصّص كتَابًا جمع فيه قائمة بألفاظ المشترك اللّفظي في القرآن الكريم، وصرّح في مقدّمة كتابه بمنهجه في اتّباع المحدثين الذين يوسعون من دائرة الاشتراك اللّفظي، يقول: « وفي تناولنا للمشترك اللّفظي في القرآن الكريم سنتابع المحدثين في تعريفهم للمشترك اللّفظي، وفي توسيعهم لمدلوله بحيث يشمل تطبيقات الاستخدام، والاختلاف الناتج عن تعدّد السياقات اللّغوية، والعلاقات المجازية على مختلف أنواعها»[5].

---

[1] ينظر: طاهر حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص85.

[2] ينظر: محمد نور الدين المنجد، الاشتراك في القرآن بين النظرية والتطبيق،ط1، دار الفكر، دمشق،1999م،ص272.

[3] سورة يوسف، الآية: 45.

[4] سورة الزخرف، الآية: 22 ، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص215.

[5] ينظر: أحمد مختار عمر،الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، ط1، عالم الكتب،القاهرة،مصر، 2003م ،ص13.

وهو موقف الدّكتور سالم مكرم، الذي يردّ على رأي إبراهيم أنيس، قائلاً: «إنّ ما ذكره أستاذنا يختلف كلّ الاختلاف عمّا ذكره الأقدمون والمتأخّرون في أنّ المشترك اللّفظي وقع في القرآن الكريم بكثرة سواء كانت المعاني متقاربة،أو متباعدة»[1]، وبالتأمّل في أقوال المفسّرين، فهم تارة يصرّحون بأنّ اللّفظ من قبيل المشترك اللّفظي، أو يفهم من كلامهم أنّهم يعدونها منه، يقول القرطبي في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2]: « الدّين الجزاء عن الأعمال والحساب بها، وقيل القضاء...والدّين: الطّاعة، ثمّ قال: فعلى هذا هو لفظ مشترك»[3].

كما اعتبر بعض المفسّرين هذا التعدّد الدّلالي في الخطاب القرآني قيمة إعجازية، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرّف إلى عشرين وجهًا، أو أكثر أو أقل[4]، ويرى الزّركشي أنّه جاء عن أبي الدّرداء : « لا يفقه الرجل حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ، أي اللّفظ الواحد يحتمل معاني متعدّدة، ولا يقتصر به على ذلك المعنى، بل يعلم أنّه يصلح لهذا وذاك»[5].

ومن أمثلة المشترك اللفظي في القرآن الكريم :

1. **لفظ (الفتح)، ومن معانيه[6]:**

- الفتح: فتح المغلق، كقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[7].
- الفتح: النصر، كقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾[8].

[1] ينظر: سالم مكرم،المشترك اللفظي، في الحقل القرآني،ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م، ص16- 17.
[2] سورة الفاتحة، الآية: 04.
[3] القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996م،ج1،ص101.
[4] ينظر: السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، ج1،ص141.
[5] الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج2،ص108.
[6] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص492.
[7] سورة الزمر، الآية:73.
[8] سورة النساء، الآية:141.

- الفتح: القضاء، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[1].

2. لفظ (العَدْلُ)، و من معانيه[2]:

- العدل: الفِداء، كقوله تعالى: ﴿ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[3].
- العدل: الإنصاف، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[4].
- العدل: القيمة، كقوله تعالى: ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾[5].
- العدل: الشرك، كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[6].

[1] سورة سبأ، الآية: 26.

[2] ينظر:عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: كاظم الراضي، دط، مؤسسة الرسالة، العراق، دت، ص439- 440.

[3] سورة البقرة، الآية: 48.

[4] سورة النساء، الآية: 03.

[5] سورة المائدة، الآية: 95.

[6] سورة الأنعام، الآية: 01.

الفصل الثالث:

دراسة تطبيقية "نماذج قرآنية".

- المبحث الأوّل: لفظة "أمّة" في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: لفظة"الدِّينُ" في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: لفظة "القضاء" في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: لفظة "السُّلطَان" في القرآن الكريم.

من الألفاظ القرآنية التي تعدّدت معانيها في القرآن الكريم:

المبحث الأوّل: لفظة "أمّة" في القرآن الكريم:

1. لفظ "أُمَّة" من الوجهة اللّغوية:

جاء في القاموس المحيط: « أمَّهُ: قصَـدَهُ، والإِمَّةُ: بالكسـر : الحَالَةُ والشِّـرعَةُ والدِّينُ، ويُضَـمُ..و جَمَاعَةٌ أُرسِلَ إليهِم رسُولٌ، والجِيلُ من كل حي، والجنسُ»[1].

وقد عرّفه الراغب: « الأُمَّةُ: كلُّ جماعة يجمعهم أمر ما إمَّا دينٌ واحدٌ أو زمانٌ واحدٌ أو مكانٌ واحدٌ سواءٌ كان ذلك الأمرُ الجامعُ تسخيراً أو اختياراً، وجمعها أُمَمٌ»[2].

وفي المصباح المنير:« أَمَّهُ أَمًّا: قصده... و الإِمَّةُ بالكسر: النَّعمة، والأُمَّةُ بالضّم العامة»[3].

يتبيّن من التعريفات اللّغوية أنّها تدور حول معاني القصـد والجماعة، ويتخصّـص كلّ معنى في السياق الذي يرد فيه.

2. السياق ودلالة "أُمَّة" في القرآن الكريم:

لفظ "أُمَّة" في القرآن هو اسم مشترك على معانٍ (أو وجوه مختلفة)، منها[4]:

- الأمّة: الجماعة.
- الأمّة: الرّجُلُ الجامع للخير الذي يُقتَدَى بِهِ.

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (أ م م)، دار الفكر، بيروت، 1995م،ص971.

[2] الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن،(أم)، ص30.

[3] الفيومي، المصباح المنير،(أم م)،ط1،دار الحديث، القاهرة، مصر، 2000م، ص19

[4] ينظر: القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،ج9،ص9، والطبري، جامع البيان، ص94، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ص445-446

- الأمّة: الدِّين أو المِلّة.
- الأمة: الحين أو الزمن.

وكان السياق كفيلاً في اختيار المعنى المناسب. ومن الأمثلة على ذلك:

- "الأُمّة" في قوله تعالى:﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾[1]، بمعنى الجماعة، حيث حدّدها السياق اللّغوي بالجماعة الكثيرة العدد من الناس[2].
- و"الأُمّة" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[3]، بمعنى الرّجل الجامع للخير الذي يُقتدى به ويؤيّد هذا المعنى ما ورد في السياق اللّغوي العام، في الحديث الشريف الذي رواه عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: « مُعَاذ أُمَّةٌ قَانِتٌ لله» [4].
- و"الأُمّة" في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾[5] بمعنى الدِّين والملّة، يؤيّد هذا المعنى سياق لغوي عام، قال النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ.

أي: ذو دين[6].

- و"الأُمّة" في قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَبَعْدَ أُمَّةٍ﴾[7] بمعنى الحين، وأراد به طول زمن نسيان الساقي[8].

---

[1] سورة القصص، الآية:23

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984م ، ص98ـ99.

[3] سورة النحل، الآية: 120.

[4] ابن عاشور ،المرجع السابق، ص315.

[5] سورة الزخرف،الآية:23.

[6] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص446

[7] سورة يوسف،الآية: 45.

[8] ابن عاشور، المرجع السابق، ج12، ص 283.

ويلاحظ أنّ لفظ "الأمة" يدلُّ في أصله اللّغوي على مفهوم "الجماعة"، ثم توسّع معناها إلى وجوه كثيرة، يقول ابن قتيبة : « أصل الأُمَّة الصّنف من الناس والجماعة، ثم تصير الأُمّة : الحين.. ثم تصير الأُمّة: الإمام والربّاني، والأمة: الدين ...»[1].

فالمعاني المختلفة للفظ "أُمَّة" عند ابن قتيبة متفرّعة عن الدلالة العامّة (مفهوم الجماعة)؛ لأنّ "الأُمّة" تقوم مقام الحين، كأنّها من الناس القَرْنُ أو الجيل ينقرضون في الحين، والرّجُل يُسمّي أُمّة لأنّه سبب الاجتماع، أو لأنّه اجتمع فيه من خصال الخير ما يكون مثله في الأمة[2].

وبهذا، فإنذ المعنى اللّغوي و ما يكتنف السياق من قرائن مختلفة يساعد في توجيه المعنى، وتحديد الدلالة عند المفسّرين.

[1] ينظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص446 .

[2] ابن قتيبة، المرجع نفسه، ص445.

المبحث الثاني: مصطلح "الدِّينُ" في القرآن الكريم:

1. لفظ "الدِّين" من الوجهة اللّغوية:

جاء في القاموس المحيط: «الدَّيْنُ: ما له أجل، ودِنْتُهُ بالكسر، وأَدَنْتُهُ: أعطيتُهُ إلى أجلٍ...والدين: بالكسر: الجزاء. وقد دِنْتُهُ، بالكسر، دَيْنًا، ويُكسَر، والإسلامُ، والعَادَةُ، والعِبَادَةُ، والطَّاعَةُ..»[1].

وقد عرّفه الراغب بقوله: « يُقَالُ دِنْتُ الرّجُلَ أخذتُ مِنهُ دَيْنًا، وأَدَنْتُهُ جعلتُهُ دَائِناً.. والدِّينُ يُقَالُ للطاعَةِ والجَزَاءِ، واستُعِير للشّريعَةِ، والدِّينُ كالمِلّةِ لكنَّهُ يُقَالُ اعتبَاراً بِالطّاعَةِ والانقيَادِ للشّريعَةِ»[2].

يتبيّن من التعريفات اللّغوية أنّ لفظ "الدِّين" يدور حول معاني الخضوع والانقياد والجزاء المترتب عليه.

2. السياق ودلالة "الدِّين" في القرآن الكريم:

لفظ "الدِّين" هو اسم مشترك عند المفسّرين، تعدّدت دلالاته، منها[3]:

- الدِّينُ: الطاعة.
- و الدِّينُ: الملّة أو الشريعة.
- والدِّينُ: السُّلطان أو المُلك.
- والدِّينُ: الجزاء والحساب.

والسياق كفيل بتحديد دلالة لفظ الدين من خلال طبيعة القرائن:

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط،(د ي ن)، ص1079 ـ 1080.

[2] الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن،(دين)،196ـ197

[3] ينظر: الطبري، جامع البيان،ج1، ص94، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1،ص101، وابن قتيبة، تأويل مشكل القران، ص 453ـ454، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص295ـ299

- فالدِّينُ في قوله تعالى:﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾[1]، بمعنى الطّاعة، قال ابن قتيبة :« لا يطيعونه»[2]

ومثله في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[3]، أي طاعة[4].

- والدِّينُ في قوله تعالى:﴿وَذلك دين القيّمة﴾[5]، أي وذلك دين الملة المستقيمة[6].
- والدّين في قوله تعالى:﴿مالك يوم الدّين﴾[7] ، أي يوم الجزاء والحساب[8]، وقد حدّد السياق اللّغوي الخاص المعنى المراد بقرينة لفظية (يوم)، ومن ههنا، يعتمد المفسّرون على منهج يراعي عناصر الترجيح الدلالي، وهي[9]:

أ) **المعنى اللّغوي**: وله أثر في تحديد دلالة المشترك بمعرفة أوضاع اللّغة، يقول الطبري: « وللدِّين معانٍ في كلام العرب غير معاني الجزاء والحساب... وأصل الدّين الطّاعة »[10].

ب) **استعمالات اللّفظ في بيئته اللّغوية**: وهي ضرب من السياقات اللّغوية العامّة التي تكشف عن المعنى السياقي، إذ يعرض المفسّرون استعمالاته اللّغوية في كلام العرب[11].

ومن السياقات اللّغوية العامّة التي تُعين المفسَر على تحدّيد المعنى المناسب ما نُقِل من أساليب العرب في كلامهم، منها:

---

[1] سورة التوبة، الآية: 29 .

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص454.

[3] سورة النساء، الأية:125.

[4] الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص197.

[5] سورة البينة،الآية: 05.

[6] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر،ص298.

[7] سورة الفاتحة،الآية: 4.

[8] ابن قتيبة، المرجع السابق، ص.452.

[9] ينظر: الجويني-مناهج في التفسير، دط، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دت، ص 94-95، والذهبي-ا التفسير والمفسرون، ص255 وما بعدها.

[10] الطبري، جامع البيان، ج1، ص68.

[11] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1ص، وينظر ابن قتيبة، المرجع السابق، ص453.

أ) إطلاق لفظ "الدِّين" على معنى "الجزاء"، كما في قول الشاعر " يزيد بن الصعق الكلابي" :

واعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ مُلْكَكَ زَائلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ[1].

ب) إطلاق "الدِّين" بمعنى "الطّاعة"، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَينَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا[2].

وبهذه الاستعمالات في البيئة اللّغوية يهتدي المفسّر إلى تخصيص دلالة سياقية معينة، فإذا كان اللّفظ قد يحيل على دلالات سياقية محتملة في السياق الواحد، كما هو في تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾[3]، قيل: الدِّينُ: الطّاعة، والدِّينُ: بمعنى الملّة أو الشريعة، والدِّينُ: الحساب والجزاء[4]، فإنّ الطبري استعان في اختيار المعنى المناسب للآية السّابقة بالسياق اللّغوي العام الذي يتمثل في استعمالات العرب في كلامها المنظوم، قال في تفسيره قوله تعالى: :﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ « وأَولَى القولين بالصواب "الدِّين" في هذا الموضع الجزاء بالحساب، وذلك أنّ أحد معاني الدِّين في كلام العرب الجزاء والحساب، ومنه قولهم: كَمَا تدِينُ تُدَان»[5].

ولهذا لم يتحرّج المفسرون من الرجوع إلى الشّعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى يذهبون إليه في فهم كلام الله، يقول ابن عباس: « الشّعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه»[6].

[1] ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دط، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، دت، 192/1.

[2] ينظر: ابن منظور، اللّسان، ج13، ص169

[3] سورة التين،الآية:7

[4] ينظر: الطبري، جامع البيان، ج12، ص642، والقرطبي،الجامع لأحكام القران، ج20، ص108.

[5] الطبري، المرجع السابق، ج12، ص642.

[6] الذهبي التفسير والمفسرون، ج1، ص 76.

المبحث الثالث: لفظ "القضاء" في القرآن الكريم:

1. لفظ "القضاء" من الوجهة اللّغوية:

جاء في القاموس المحيط: « القضاء: الحُكم، والصُّنع والحَتْمُ والبَيَان...وقَضَى: مَاتَ، وقَضَى عليه: قتله..»[1].

ويقول الراغب: « القَضَاءُ فَصْلُ الأَمرِ قَولاً كانَ ذلك أو فِعْلاً، وكُلُّ واحدٍ منهما على وجهين: إِلَهِيٍّ وبَشَرِيٍّ..»[2].

وفي المعجم الوسيط: « قضى قضياً وقَضَاءً: حَكَمَ وفَصَلَ..»[3].

يتبين من التّعريفات اللّغوية أنّها تدور حول معاني: الحَتْمِ و فَصْلِ الأَمْرِ وانقِطَاعِهِ وتَمَامِه.

2. السياق ودلالة "القضاء" في القرآن الكريم:

لفظ "القضاء" هو اسم مشترك عند المفسّرين، تعدّدت معانيه في القرآن[4]، وكان السياق كفيلاً بتحديد المعنى المراد من اللّفظ، ومن أمثلته:

- قضى بمعنى أمر في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[5]، أي أمر؛ لأنّه لمّا أمر حتم بالأمر.

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط،(ق ض ي)، ص1192

[2] الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (قضى)، ص453

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، (قضى)، ج2، ص777

[4] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القران، ص441ـ442، وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص506 ـ 509 . و الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص453 ـ454 .

[5] سورة الإسراء، الآية:23

- قضى بمعنى أعلم في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[1]، أي أعلمناهم.
- قضى بمعنى صنع في قوله تعالى وقوله:﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[2]، أي صنعهن، وقوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[3]، أي فاصنع ما أنت صانع[4].
- قضى بمعنى فصل في الحكم، في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾[5] أي لَفُصِل بينهم، ويؤيّد هذا المعنى ما ورد في السياق اللّغوي العام، في قولهم: "قَضَى القَاضِي بَينَ الخُصُومِ"، أي: قَطَعَ بينهم في الحكم[6].
- قضى بمعنى مات في قوله تعالى:﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[7]، أي فَمَاتَ القبطيُّ، و(قَضَى عَليهِ) هي جملة لا تُغَيَّر، أي: "تعبير اصطلاحي"عن الموت[8].

وقد التفت ابن قتيبة إلى ارتباط المعاني السياقية المختلفة بالأصل اللّغوي ، قال: « أصل قضى: حتَم، كقوله عز وجل:﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الموتَ﴾[9]، أي حَتَمَهُ عليها. ثم يصِيرُ الحَتْمَ بِمعانٍ...وهذه كلّها فروع ترجع إلى أصل واحد»[10].

[1] سورة الإسراء، الآية: 04.

[2] سورة فصلت،الآية:12

[3] سورة طه، الآية: 72،

[4] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص441.

[5] سورة الشورى، الآية: 14.

[6] ينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص507.

[7] سورة القصص، الآية: 15.

[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20،ص89.

[9] سورة الزمر، الآية:42

[10] ينظر: ابن قتيبة، المرجع السابق، ص441- 442.

المبحث الرابع: لفظ "السُّلطَان" في القرآن الكريم:

1. لفظ "السُّلطان" من الوجهة اللغوية:

جاء في القاموس المحيط: « السَّلْطُ والسَّلِيطُ: الشَّدِيدُ..والسلطان: الحُجَّةُ، وقُدرَةُ المَلِكِ، والوالي...»[1].

كما عرّفه الراغب بقوله: « السّلاطَةُ التمكُّن من القهر..ومنه سُمِي السُّلطان.. وسُمِّيَ الحُجَّةُ سُلطَانًا وذَلِك لِمَا يَلحَقُ من الهُجُوم على القُلُوب»[2].

2. السياق ودلالة "السُّلطان" في القرآن الكريم:

لفظ "السلطان" مشترك يدل على معان متعدّدة:

- السّلطان: المُلكُ والقَهْرُ.
- السّلطان: صَاحِبُ المُلكِ.
- السّلطان: الحُجّة.

وقد كان السياق مُعيناً للمفسّرين على تحديد المعنى المناسب في توجيه معاني القرآن الكريم.

- السّلطان: بمعنى الملك والقهر في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[3]، أي: لم يكن لي قدرة وتسلط وقهر عليكم، فأجبركم على اتّباعي، بحيث يدلّ على المعنى المذكور "سياق الموقف" (خطاب و جدال بين الشيطان وأتباعه يوم القيامة)[4].

---

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (س ل ط)، ص604.

[2] الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن،(سلط)،ص267.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 22.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، ج13، ص219

- السّلطان: بمعنى الحُجَّة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾[1]،أي: حُجّة[2].

نستخلص ممّا سبق أن المفسرين كانوا من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، وقد استعانوا به وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى القرآني، وإذا كان اللّفظ المشترك دالاً على معانٍ مختلفة خارج السياق، فإنّها تتلاشى ليبرز أحد المعاني على أنّه المعنى المراد، ويتحقّق ذلك بفضل السياق بأنواعه: السياق اللّغوي الخاص، والعام، وسياق الموقف.

[1] سورة الصافات، الآية: 156.

[2] ابن قتيبة.تأويل مشكل القرآن، ص504.

الخـاتـمة

ختامًا لهذا البحث الموسوم بـ« أثر السّياق في تحديد دلالة المشترك اللّفظي -نماذج قرآنية-»، نخلص إلى أنّ ظاهرة المشترك اللّفظي، وإن كانت من أكثر القضايا تعقيدًا في الدّرس الدلالي، إلّا أنّ السياق في القرآن الكريم أظهر قدرة بيانية فريدة في التحكّم بها وتوجيهها بما يخدم المقاصد البلاغية والدلالية للنص القرآني ومن خلال النماذج التّطبيقية التي تم تناولها، تتّضح لنا جملة من النتائج المهمّة:

- السياق يُعد مفتاحًا أساسًا في الكشف عن دلالة اللّفظ المشترك وتحديد معناه المقصود بدقّة.
- المشترك اللّفظي لا يؤدّي بالضرورة إلى الغموض أو الالتباس، بل يُمكن أن يكون مصدرًا للإثراء الدلالي إذا ما أحسن توظيفه.
- السياق القرآني لا يقتصر على البعد اللّفظي، بل يشمل السياقات النصية، والسياقات المقامية، وسياق السورة ككّل، وقد قسّمه المفسرون إلى سياق لغوي خاص وعام، وسياق الموقف أو الحال.
- تتفاوت دلالات اللّفظ المشترك بحسب موقعه في التركيب، والقرائن المحيطة به، والغرض البلاغي للسياق العام.
- لا يمكن فصل الاشتراك اللّفظي عن البنية التأويلية للنص، ممّا يجعل التّفسير القرآني ممارسة دلالية وسياقية في جوهرها، حيث أظهر المفسرون قدرة فائقة في طبيعة التحليل القائم على إدراك السياق وأثره في الكشف عن المعنى.
- الوعي بالسياق يجنّب القارئ الوقوع في التّأويل السطحي، ويفتح أفق الفهم العميق للنص.
- اختلاف معاني المشترك بين الآيات لا يعني تناقضًا، بل يعكس تنوع المعاني ضمن وحدة لفظية واحدة، بحيث تصلح لكل سياق توضع فيه، وذلك بما تحمله من ظلال المعنى وإيحاءاته.
- ظاهرة الاشتراك تبرز الإعجاز اللّغوي للقرآن، إذ تُوظّف الألفاظ المحدودة لإنتاج معانٍ غير محدودة، ومن هنا، كان تعدد المعنى للفظ الواحد في القرآن وجه إعجاز حيث تتصرف الكلمة

الواحدة إلى عدة وجوه(معاني)بحيث تصلح الكلمة الواحدة أن تؤدي معنى خاصا بكل سياق دون أن يناقض ما سبقه من معان.

- السياق يملك سلطة دلالية أقوى من المعجم، خاصّة في النصوص ذات الطّابع الرمزي أو الكثافة البلاغية كالنص القرآني.
- غياب السياق أو إغفاله في التّحليل يؤدّي إلى انزلاقات في الفهم وتفسيرات خارجة عن مقاصد النص.
- يُعد التّحليل السياقي خطوة مركزية في الدّراسات الدلالية الحديثة، لا سيما في تأويل النصوص المقدسة.
- تُظهر الدّراسة الحاجة إلى تكامل بين علم الدلالة، والبلاغة، وعلم التفسير، لفهم ظاهرة الاشتراك فهمًا علميًا متكاملًا.

قـائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش، عن نافع).

الحديث النبوي الشريف.

قـــــائـــــمة المصادروالمراجع

1. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط9، 1995م.
2. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ،ط5،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،مصر، 1963م.
3. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب،ط8، عالم الكتب،القاهرة، مصر، 2003م.
4. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
5. أحمد مختار عمر،الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، ط1، عالم الكتب،القاهرة،مصر، 2003م.
6. إميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982م.
7. ابن أنباري، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،1991م.
8. أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د.كمال بشر، ط12، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،مصر،دت.
9. بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي،ط2 ،دار طلاس، دمشق، سوريا، 1992م.
10. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1979م.
11. الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون، دط، دار الجيل، بيروت،دت، ج1.
12. الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1403هـ-1983م.
13. الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح محمد التنجي، ط2،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997م.
14. الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد الصادق قمحاوي، دط، دار إحياء التراث العربي،بيروت،1405هـ ج2.

15. ابن جني الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، مصر، دت.ج1.

16. ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط3 مؤسّسة الرسالة، بيروت،1987م.

17. الجوهري: الصحاح، تحقيق : إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، ط5، دارالكتب العلمية، بيروت،لبنان،2011م.

18. الجويني، مناهج في التفسير، دط، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دت.

19. حلمي خليل الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر، 1998م.

20. الذهبي، التفسير والمفسرون، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت، ج1.

21. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1997م.

22. ردة الله بن ردّه الطلحي، دلالة السياق، ط1،منشورات جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1424هـ.

23. رمضان عبد التواب،فصول في فقه العربية،ط3،مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر، 1987م.

24. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1980م، ج2.

25. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دط،دار المعرفة بيروت،دت، ج3.

26. سالم مكرم،المشترك اللفظي، في الحقل القرآني،ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1996م.

27. سامي عيّاد حنّا وآخرون، معجم اللّسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م.

28. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار عالم الكتب، بيروت، دت، ج1.

29. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دط، دار الفكر، بيروت، دت،ج2.

30. السيوطي، المزهرفي علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد جاد المولى وآخرين، دط،دار الفكر، بيروت لبنان، ج1.

31. طاهر حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، دط، الدار الجامعية،الإسكندرية، مصر، 1983م.

32. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دط،دار الفكر، بيروت،1405هـ، ج12.

33. ابن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984م.

34. عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط6، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1968م.

35. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط 1 .تح: الدكتور عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت لبنان، 1444هـ، 1993م.

36. فاسي الفهري، اللّسانيات واللغة العربية،ط1، منشورات عويدات، بيروت،1986م.

37. فايز الداية، علم الدلالة العربي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م.

38. فريد عوض حيدر، علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)،ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دت.

39. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دط، دار الفكر، بيروت، 1995م.

40. الفيومي، المصباح المنير، ط1،دار الحديث، القاهرة، مصر، 2000م.

41. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،ط3، المكتبة العلمية،1981م.

42. القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996م،ج1.

43. ابن كثير، تفسير القرآن، دط، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، دت، ج7.

44. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، دط، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، دت.

45. محمد نور الدين المنجد، الاشتراك في القرآن بين النظرية والتطبيق،ط1، دار الفكر، دمشق،1999م.

46. ابن منظور،لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة ج4.

47. منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق 2001م.

48. ميشال زكريا، الألسنية: علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1983م.

49. نور الهدى لوشن،: علم الدلالة دراسة وتطبيق، ط1، المكتب الجامع الحديث، الإسكندرية مصر،2006م.

50. أبو هلال العسكري،الفروق في اللغة،منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1981م.

فهرس الموضوعات

الصفحات	الموضوعات
	الإهداء
أ- هـ	المقدّمة.....
06- 14	المدخل: علم الدّلالة ومباحثه.....
15- 27	الفصل الأوّل: السياق عند القدماء والمحدثين.....
16- 18	المبحث الأوّل : السياق عند القدماء.....
19- 22	المبحث الثاني: السياق عند المحدثين.....
23- 27	المبحث الثالث: السياق القرآني.....
28- 40	الفصل الثاني: المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي والقرآني.....
29- 36	المبحث الأوّل: المشترك اللّفظي في الحقل اللّغوي.....
36- 40	المبحث الثاني: المشترك اللّفظي في الحقل القرآني.....
41- 51	الفصل الثالث: دراسة تطبيقية"نماذج قرآنية".....
42-44	المبحث الأوّل: لفظة "أمّة" في القرآن الكريم. .....
45-47	المبحث الثاني: لفظة "الدّين" في القرآن الكريم.....
48- 49	المبحث الثالث: لفظة "القضاء" في القرآن الكريم.....
50-51	المبحث الرّابع: لفظة " السّلطان" في القرآن الكريم.....
52-54	خاتمة.....
55- 59	قائمة المصادر والمراجع.....

فهرس الموضوعات.....	60- 62